فإذا كان الجواب البديهي هو الفكر؛ لأنه هو الذي يدير الأمور في غيبة من الانفعال الحاد الذي كثيرًا ما يلتوي بالتفكير فيحيد عن الطريق المستقيم، وعلى هذا فقد انحلت المسألة دون حاجة إلى جدال كثير .فالرجل بطبيعته المفكرة لا المنفعلة وبما زودته به الحياة من قدرة علي الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته أصلح من المرأة على القوامة على البيت.

زوجات الرسول

ذكر الأستاذ واصف بطرس غالي في كتابه الفروسية المتوارثة عند العرب، وهو بالفرنسية قوله إن محمدًا كان شغوفًا بالنساء كما كان عارفًا فن المعرفة بطبائعهن، وقد بذل جهدًا كبيرًا في سبيل منحهن كثيرًا من الحقوق والحريات، وكان عمله في ذلك قدوة لأتباعه فكانت هذه القدوة أعظم أثرًا في نفوس أتباعه من التعاليم التي جاء بها فيمكن أن يقال في اطمئنان إنه كان أبرز نصير للمرأة، ولم يكن كغيره نصيرًا بالقول والفعل معًا فقد كان أكثر الناس رحمة وشفقة عليهن شديد العطف كبير الاحترام والتكريم، ولم تكن رحمته وشفقته وعطفه واحترامه وتكريمه محل ذلك خاصًا بنسائه بل بجميع النساء"

روي أن النبي) صلى الله عليه وسلم (جلس بين زوجاته يومًا صامتًا والناس على بابه فلم يسمح لأحد منهم بالدخول عليه إلا لعمر وأبي بكر أخيرًا ولما رأى عمر رسول الله) صلى الله عليه وسلم (قال لأكلمن رسول الله)صلى الله عليه وسلم (لعله يضحك . ثم قال يا رسول الله رأيت ابنة زيد سألتني النفقة فعنفتها وابنة زيد هي زوجته فضحك رسول الله) صلى الله عليه وسلم (وقال وهن حولي يسألنني النفقة فقام إلى ابنته وقام أبو بكر إلى ابنته عائشة يأدبنهما قائلين "ألا تسألان رسول الله) صلى الله عليه وسلم (ما ليس عنده ثم نزل الوحي بقوله " يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا " الأحزاب آية28

تقول السيدة عائشة رضي الله عنه كنا آل محمد تهل علينا ثلاثة أهلة لا يوقد في بيتنا نار وكان طعامنا الأسودين التمر والماء "

وكان) صلى الله عليه وسلم (غير ذي إرب في النساء فقد كان يواصل الصوم بدون إفطار ونهى عن ذلك للمسلمين وعلل لنفسه) صلى الله عليه وسلم (بأنه يبيت يطعمه ربه ويسقيه .

كيف يتسنى لرجل كهذا أن يتزوج من أجل إشباع التلذذ بالنساء

ولقد كرم الله نساءه فصرن أمهات للمؤمنين وبالتالي لم يكن للنبي) صلى الله عليه وسلم (أن يطلق نساءه كما أمره ربه ومع ذلك نزل أمره بوقف الزواج ومعناه أن الله ارتضى له ذلك، وأنه يفعل ذلك بأمر من الله أو لأمر الله أي لدينه ورسالته .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله) صلى الله عليه وسلم (أرأيت لو نزلت واديًا فيه شجرة قد أكل منها فأي منها كنت ترتع بعيرك؟ قال) صلى الله عليه وسلم " (في التي لم يرتع منها " قالت رضي الله عنها فأنا هي تعني بأنها البكر الوحيدة في زوجات الرسول) صلى الله عليه وسلم " (روا ه البخاري وهي تفتخر بذلك
-1مارية بنت شمعون القبطية: أهداها للنبي) صلى الله عليه وسلم (مقوقس مصر ولم تكن زوجة بل كانت سرية أي ملك يمين مع أخت لها تدعى سيرين فأعتقها ولدها إبراهيم وقد أسلمت وهي متجهة لبلاد العرب

-2جويرية بنت الحارث :كان اسمها برة أبوها الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق كانت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على عتقها فذهبت إلى النبي) صلى الله عليه وسلم (وطلبت منه أن يعينها علي المكاتبة فآثر قولها فيه قال اقضي عنك وأتزوجك قالت نعم فتزوجها، وجاء أبوها ليفتديها فخيرها النبي) صلى الله عليه وسلم (فاختارت رسول الله)صلى الله عليه وسلم (فأسلم أبوها ومن بعده قومه فكانت قدم خير على قوم وسماها النبي) صلى الله عليه وسلم (جويرية .

-3زينب بنت جحش " ابنة عمة رسول الله) صلى الله عليه وسلم (وكان زواجها بأمر من الله تعالى للنبي ثم طلقها فتزوجها زيد والنبي) صلى الله عليه وسلم (يعلم ما سيحدث، ويعلم أن الله سيقذف في قلبها كرهها لزيد حتى يطلقها ويكون داعيًا لأن يمنع تزويج الأبناء بالتبني من آبائهم، وطلقها زيد ونزلت الآية تقول عنها عائشة بعد مماتها " لقد ذهبت كانت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل وقالت عنها لم أر امرأة قط خيرًا منها في الدين ولا أتقى لله ولا أصدق حديثًا ولا أوصل رحمًا ولا أعظم صدقة "

-4صفية بنت حيي بن أخطب : بنت سيد قومها وكان زوجها من زعماء اليهود ,وكانت صغيرة وخيرها النبي) صلى الله عليه وسلم (بين الإسلام والعتق أو البقاء على اليهودية والسبي فاختارت الإسلام فتزوجها النبي)صلى الله عليه وسلم (وكرمها بزواجه منها وروي أنها قالت للنبي)صلى الله عليه وسلم (في مرضه الذي مات فيه "والله يا رسول الله لوددت أن الذي بك بي فلما رآهن رسول الله) صلى الله عليه وسلم (يتغامزن قال صدقت .

-5 أم سلمة هند بنت أمية : مات زوجها وكانت كبيرة في السن وذات ولد تقدم لها عمر وأبو بكر فرفضت، ولكن تقدم لها النبي) صلى الله عليه وسلم (وما كانت لترفضه إلا خوفًا من عدم القيام بواجباتها وقال بأنه سيعامل أولادها معاملة طيبة، وهذا ما حدث منه) صلى الله عليه وسلم (بالفعل .

-6 سودة بنت زمعة :عرضت على النبي) صلى الله عليه وسلم (الزواج فوافق ويروي أنها كانت بدينة مترهلة قليلة الحظ من الذكاء، وكان أبوها مشركًا وأخوها ومات زوجها بعد رجوعه من الحبشة، وكان لها مشية يسعدها أن ترى النبي) صلى الله عليه وسلم (يضحك عليها، ولعل زواجه) صلى الله عليه وسلم (منها واستبقاءه عليها كان دافعًا أن يتألف قومها إذ كانت من قبيلة كبيرة هي قبيلة بني عامر .

-7السيدة عائشة بنت أبي بكر :ذكرتها في مقام آخر

-8 السيدة خديجة بنت خويلد :ذكرتها في مقام آخر

-9زينب بنت خزيم :تزوجها النبي) صلى الله عليه وسلم (بعد استشهاد زوجها سنة3 من الهجرة وتوفيت في حياة رسول الله) صلى الله عليه وسلم (

-10رملة أم حبيبة بنت أبي سفيان:كانت زوجة لعبد الله بن جحش وهو بن عمة النبي) صلى الله عليه وسلم (وكان قد هاجر إلي الحبشة ولكن زوجها ارتد فأكرمها النبي وضمها إلى زوجاته .

وأرسل النبي) صلى الله عليه وسلم (إلى النجاشي أن يكون وكيله في هذا الأمر مع أنه مسيحي وأسلم أبو سفيان بعد ذلك في العام الثامن من الهجرة

-11ميمونة بنت الحارث :آخر من تزوج النبي) صلى الله عليه وسلم.(كان اسمها برة أفضت برة بعد وفاة زوجها برغبتها في الزواج من النبي) صلى الله عليه وسلم (فأخبرت العباس بن عبد المطلب عم الرسول) صلى الله

عليه وسلم (بذلك فعرض على الرسول) صلى الله عليه وسلم (فقبل وأصدقها خمسمائة درهم وكان أيام صلح الحديبية فسماها ميمونة .

نلاحظ أن كل زواج للنبي) صلى الله عليه وسلم (كان الهدف دينيًا في النهاية فمنها ما كان رأفة بواحدة منهن أو لتأليف القلوب من قومها ومَنْ يعنيه أمرها وتوطيد علاقته) صلى الله عليه وسلم (بهم فيكون دافعًا إلى نظرهم في الإسلام وهو ما كان .

ويلاحظ أن جميع زوجات النبي) صلى الله عليه وسلم (بعد وفاة زوجته الأولى وبعد بلوغه سن الثالثة والخمسين، وهي سن لا يمكن أن يقال بأنها سن تشتد فيه رغبة الرجل في النساء وخصوصًا إذا كان قد تزوج وأمضى في زواجه أكثر من ربع قرن .

النبي) صلى الله عليه وسلم (كزوج: لقد علمنا أن النبي) صلى الله عليه وسلم (تزوج إحدى عشرة امرأة منهن مَنْ جاءت بأمر السماء ومنهن مَنْ كانت لأسباب سياسية من المبادئ التي كانت أسسًا لبناء المجتمع الإسلامي، إنها لم تكن لتسمح للرجال أن يختلطوا بالنساء فلم يكن يمكن تثقيفهم مباشرة مع المراعاة إن لهذه المبادئ مع أمس الحاجة إلى تثقيفهم لم يكن أهون وأقل من الرجال بل كان أشد وأقوى، إذن فلم يكن للنبي) صلى الله عليه وسلم (سبيل إلا أن يختار من النساء المختلفة الأعمار والمواهب لهذا الغرض فيزكيهن ويربيهن ويعلمهن الشرائع والأحكام ويثقفهن في دينهن حتى يعدهن لتربية البدويات والحضريات والعجائز منهن والشابات فيكفيهن مؤنة التبليغ في النساء "

وحتى العدل بين أزواجه كان في مرض الموت، فعن عائشة قالت رجع النبي) صلى الله عليه وسلم (من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعًا في رأسي وأنا أقول وارأساه ثم قال وما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك، قلت والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك قالت فتبسم النبي) صلى الله عليه وسلم (ونام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعزبه وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي فأذن له تقول السيدة حفصة والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا حتى أنزل الله فيهن وقسم لهن ما قسم قال فبينما أنا في أمر أئتمره إذ قال لي لو وضعت كذا وكذا فقلت له ومالك أنت ولما هاهنا وما تكلفك في أمر أريده فقال لي عجبًا لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وأن ابنتك لتراجع رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى يظل يومه غضبان فقال عمر فأخذ ردائي ثم أخرج مكاني حتى أدخل على حفصة فقلت لها أي بنية إنك لتراجعين رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى يظل يومه غضبان فقالت حفصة والله أنا أراجعه " فقال عمر يا بنية تعلمت أن أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله يا بُنيتي لا يغرنك هذه النبي أعجبه حسنها وحب رسول الله لها، والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقك " وقد تزوج النبي) صلى الله عليه وسلم (صفية بنت حيي سيد بني قريظة على كل ما في خيبر فبينما النبي) صلى الله عليه وسلم (يمر في ميدان المعركة وجد بلالا يأخذ بامرأتين تصرخان وتبكيان وبلال يدفعهما وسط القتلى " فقال) صلى الله عليه وسلم " (أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟ والأولى هي صفية وتزوجها بعد أن أسلمت

والنبي) صلى الله عليه وسلم (مع تعدد زوجاته كان الزوج المثالي في كل شيء، وكان يعدل بين زوجاته حتى في مرض موته والفرد منا يقوى على أربعة في حالة قصوى قوة في البدن وقوة في النفس والسيطرة ومحمد)صلى الله عليه وسلم (فاق البشر ومع ذلك أصبحت داعيات قانتات رمزًا للنقاء والعفة تحتذى به النساء وكيف يعلم هو النساء ولا تجد له إلا امرأة واحدة سوف لن تقتنع برأيه امرأة؛ لأنها ستقول إنه لم يخالط النساء وربما كانت إحداهن محبة له فبالغت واختارهن من قبائل مختلفة وأعمار مختلفة، وكانت إحداهن سببًا في إسلام قبيلتها كلها وهي زواجه) صلى الله عليه وسلم (من بني المصطلق لما انتصر المسلمون عليهم و قسمت الأسري وكانت ابنة سيد بني

المصطلق من نصيب رجل فقير وكاتبها على مال كثير ليعتقها فذهبت إلى النبي) صلى الله عليه وسلم (ونظر إليها أنها لو أعتقت سوف تجمع الرجال من جديد لتثار لأبيها، وهكذا فقال لها هل لك من خير في ذلك فقالت وما هو؟ قال أقضي عنك كتابك وأتزوجك فقالت نعم قال قد فعلت ودفع عنها ما كاتبها عليه آسرها الفقير ودعاها إلى الإسلام وتزوجها فأسلم أبوها ومعظم الأسرى من رجال أبيها وأبدل اسمها بجويرية بنت الحارث، ونالت من الحنان ما لم تكن تتوقعه من ما أثار غيرة عائشة رضي الله عنها.

وبعد معركة بدر وعلى مشارف المدينة أقبلت وفود من القبائل الموالية للنبي) صلى الله عليه وسلم (تهنئه بالنصر فقال لهم رجل من صحبه في زهو الانتصار " ما الذي تهنئون به إن لقينا إلا عجائز صلعًا كالإبل فنحرناها فكره النبي) صلى الله عليه وسلم (من صاحبه هذا العلف فقال يا ابن أخي أولئك الملأ فما يليق أن تستهينوا بأقدار الناس؛ لأنهم هزموا"

المعاملة للزوجات

إن عقاب النبي) صلى الله عليه وسلم (لزوجاته كان من الندرة الحديثة بحيث لا يذكر لولا ما تعود المسلمون من ذكر كل صغيرة وكبيرة في حياته الخاصة والعامة على السواء، وهذا مع طول العشرة وتعدد الزوجات وكثرة الحوادث الجسام وقلة النسل الذي يصل المقطوع ويرأب المصدوع، وكان معظم عقابه أشبه بعقاب نبي لمسلمات منه بعقاب زوج لزوجات، وهو في حالتي عقابه وإحسانه إنسان على أكمل ما يكون الإنسان من رقة القلب من رحمة ولين وإنصاف، وإذا حارت الأدلة عن قوام تلك الحياة الزوجية فالدليل الذي لا يحتار أن ينقضي نحو أربعين سنة عليها وهي على ذلك الصفاء والولاء، الذي لم يعرف قبله في علاقات الرجال و النساء هذه حياة زوجية لا تقوم على الحس والمتعة ولن تدوم لو كان لا قوام لها غير مودة القلوب وراحة النفوس وحب مبادلة العطف والتعظيم.

روي الطبراني عن عائشة أنها قالت لما سُئلت ماذا كان يصنع النبي) صلى الله عليه وسلم (في البيت قالت "كما يصنع أحدكم يشيل هذا ويحط هذا ويخدم في مهنة أهله ويقم البيت ويعين الخادم "

وكانت نساء النبي) صلى الله عليه وسلم (تراجعنه كما ورد في كثير من الروايات .

وعن عائشة أن زوجات النبي ص كن يخرجن بالليل يتبرزن في المناضح وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي ص احجب نساءك فلم يكن النبي ص يفعل فخرجت زمعة بنت سودة فعلمها عمر وكانت طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك سودة حرصا علي أن ينزل الحجاب فانزل الله آية الحجاب" يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادني أن يعرفني فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما " وعن عائشة أن النبي ص قال فنأذن أن تخرجن في حوائجكن

الغيرة عند زوجات الرسول : وتآمر نسوة النبي ص علي زوجة له كانت جميلة فغاروا منها فقالوا لها إذا دنا منك النبي ص يوم دخلته فقولي أعوذ بالله منك فقالت ذلك فقال لها لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك رواه البخاري

حديث الإفك

روي الإمام احمد بن إسحاق أن أبا أيوب قالت له امرأته يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس عن عائشة رضي الله عنه قال نعم وذلك الكذب أكنت فاعلة يا أم أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله قيل عائشة خير منك

جاء في الصحيحين أن النبي ص كان إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين نسائه فأيتهم خرج سهمها خرج بها رسول الله ص وعن عائشة رضي الله عنها قال فأقرع بيننا رسول الله ص في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله وذلك بعدما أنزل الله الحجاب فأنا أحمل في هودجي وانزل فيه حتي إذا فرغ رسول الله ص من غزوة وقفل ودنونا من المدينة أنخن ليلة بالرحيل فقمت حتي أذنوا بالرحيل فمشيت حتي جاوزت الجيش فلما قضيت من شأني أقبلت إلي الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع جزع ظفار قد انقطع فرجعت التمس عقدي فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا معي يرحلوا إلي فحملوا الهودجي فرحلوه علي بعيري الذي كنت أركبه وهم يحسبون أني فيه قالت وكانت النساء إذا ذاك خفافا لم يهبلن ولم يثخنهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج في حين رحلوا ورفعوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفتقدوني ويرجعون إلي بينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن أمية بن المعطل السلمي قد أعرس من وراء الجيش فأدلج فأصبح في منزلي فرآني سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني وعرفت حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالدي ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتي أناخ راحلته فوطئ علي يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتي أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في بحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولي كبره عبد الله بن أبي بن سلول فتقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أن لا أعرف من رسول الله ص اللطف الذي كنت أري منه حين اشتكي إنما يدخل رسول الله ص فيسلم ثم يقول كيف تيكم ؟ فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتي خرجت بعدها فهمت وخرجت معي أم سطيح قبل المناضح وهو متبرز لنا ولا نخرج إليه إلا ليلا وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم سطيح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي فلما فرغنا من شاننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا ؟ قالت أني هنتاه أو لم تسمعي ما قال ؟ قالت وماذا قال ؟ قال فأخبرتني الخبر بقول الإفك فازددت مرضا إلي مرضي فلما رجعت بيدي قد حل علي رسول الله ص فسلم ثم قال كيف تيكم ؟ أريد أن أزور أبوي ؟ قالت وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ص فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ فقالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت قلت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت فبكيت حتي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت ودعا لي رسول الله ص علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد يستشيرهما في فراق أهله قالت وأما أسامة بن زيد فأشار علي رسول الله ص بالذي يعلم من براءة أهله والذي يعلم من نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال " لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسال الجارية تصدقك قالت فدعا بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك عن عائشة قالت له بريرة والذي بعثك بالحق إن رايتك عليها أمر طرأ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن أي الشاة فتأكله قالت فقام رسول الله ص وهو علي المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت علي أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل علي أهله إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال أنا أعذرك منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه0

ثم نزلت الاية